دار القاسم

أظلتكم عشرة مباركة فيها

ليلة القدر

عبد الملك القاسم

الرياض: ١١٤٤٢ ص.ب: ٦٣٧٣ ت: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠
فروعنا - جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ بريدة ت: ٣٢٦٢٨٨٨ الدمام ت: ٨٤٢١٠٠٠
www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فمن فضل الله ومنته أن شرع لعباده مواسم عظيمة وساعات جليلة يتقربون فيها إليه عز وجل... ها هم يتشوقون لمقدم شهر الخير والبركة... وتطول عليهم الليالي والأيام رغبة في ادراك هذا الشهر العظيم.. ولذا كانوا يدعون الله عز وجل أن يبلغهم شهر رمضان.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: (المحبُّون تطول عليهم الليالي فيعدُّونها عَداً لانتظار ليالي العشر في كل عام! فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم).

وإذا دخل الشهر الكريم وبانت أنواره تدرجوا في العبادة وتعودوا على الأنس بالقيام والصبر على الصيام حتى تنقضي العشر الأول.. ثم ها هم يرون هلاله قد ارتفع في السماء إيذاناً ببداية الانصرام فهم يتشوقون إلى عظيم النوال... حتى إذا اظلتهم العشر المباركة فإذا النفوس قد تطلعت إلى مزيد من العبادة رجاء المغفرة والعتق من النار.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل! وأيقظ أهله! وجدّ وشدَّ المِئزر!» [رواه البخاري ومسلم] وفي رواية لمسلم: عن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره!».

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: (وفي الحديث الحرص

على مداومة القيام في العُشر الأخير، إشارة إلى الحث على تجويد الخاتمة).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ: « إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ من حُرمها فقد حُرم الخير كله! ولا يُحرمُ خيرها إلا محروم» [رواه ابن ماجه صحيح الترغيب: ٩٨٦].

الأعمال الخاصة بالعشر الأواخر من رمضان:

الساعات الغالية النفيسة التي لا تعود إلا مرة في العام يسارع إليها الموفقون... يغتنمون لحظاتها ودقائقها... ويتعرضون فيها لنفحات الجواد الكريم و كان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر:

* فمنها: إحياء الليل، فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله، ففي حديث عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر ـ يعني الأخير ـ شمرّ وشدَّ المئزر» [رواه أحمد]. ويحتمل أن يريد بإحياء الليل إحياء غالبه، ويؤيده ما في صحيح مسلم عن عائشة، قالت: «ما أعلمه ﷺ قام ليلة حتى الصباح».

* ومنها: أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي، وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعلياً ليلاً فيقول لهما: «ألا تقومان فتُصليان» [رواه البخاري ومسلم].

* وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يُوتر. وورد الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة، ونضح الماء في وجهه. وفي الموطأ أن عمر بن

الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاة، الصلاة، ويتلو هذه الآية ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ [طه: ١٣٢].

قال سفيان الثوري - رحمه الله -: (أحبُّ إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك).

* ومنها: اغتساله ﷺ بين العشاءين، لحديث عائشة: «واغتسل بين الأذانين» والمراد: أذان المغرب والعشاء، قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر. وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر. وكان أيوب السختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين، ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة، والتي تليها ليلتنا، يعني البصريين.

أخي المسلم: لقد كان الصالحون إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان تهيَّأوا لها واستقبلوها بالطهارة ظاهراً وباطناً!.

فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والغسل، والتطيب بالطيب واللباس الحسن، كما يشرع ذلك في الجُمع والأعياد. وكما يُشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات، ولا يكمل التزين الظاهر إلا بتزين الباطن بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى، وتطهيره من أدناس الذنوب.

* ومنها: الاعتكاف، ففي «الصحيحين» عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى». وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين». وإنما كان يعتكف النبي ﷺ في هذه العشر التي يُطلب فيها ليلة القدر، قطعاً لأشغاله، وتفريغاً لباله، وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه.

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له همٌ سوى الله وما يُرضيه عنه. وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال.

ليلة القدر

من أعظم ليال العام فيها يفيض الرب عز وجل على عباده وتنزل عليهم الرحمات في ليلة خير من ألف شهر.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ ـ ٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في شهر رمضان: «فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حرم» [رواه أحمد والنسائي]. وقال مالك: بلغني أن رسول الله ﷺ أُري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العُمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر.

قال قتادة ـ رحمه الله ـ: (إنما هي بركة كلها خيرٌ إلى مطلع الفجر!).

وقال الضحاك ـ رحمه الله ـ: (لا يقدِّر الله في تلك الليلة إلا السَّلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسَّلامة!).

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: (إذا كان ليلة القدر لم تزل الملائكة تخفق بأجنحتها بالسَّلام من الله والرحمة من لدن صلاة المغرب إلى طلوع الفجر!).

أخي: إنها ليلة نزول الملائكة... ليلة الخيرات... ليلة النفحات... ليلةُ العتق من النّار.. ليلةُ الرحمة..

و من فاتته هذه الليلة فهو المحروم حقاً قال ﷺ: «من حُرمها فقد حرم الخير كله! ولا يُحرم خيرها إلا محروم» [رواه ابن ماجه].

وليلة القدر أنزل فيها القرآن، ووصفها الله عز وجل بأنها ليلة مباركة، يكتب فيها الآجال والارزاق خلال العام ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، ولها فضل عن غيرها من الليالي فهي خير من ألف شهر في العبادة. وتنزل الملائكة فيها إلى الأرض بالخير والبركة، وهي ليلة خالية من الشرِ والأذى وتكثر فيها الطاعة وأعمال الخير ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ وفيها غفران الذنوب لمن قامها إيماناً واحتساباً...

* وأما العمل في ليلة القدر فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضاً.

* قال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحب إليّ

من الصلاة، ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وأن قرأ ودعا كان حسناً. وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر. وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها.

سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ النبي ﷺ: أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني**» [رواه الترمذي].

ولعظمة هذه الليلة كان الصالحون يتهيَّأون لها ويستقبلونها كما يستقبلون الأعياد!. فقد كان لتميم الداري ـ رضي الله عنه ـ حُلَّة اشتراها بألف درهم! كان يلبسها في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر. وكان ثابت البُناني وحُميد الطويل ـ رحمهما الله ـ يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيَّبان، ويطيِّبون المسجد بأنواع الطِّيب في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر.

أخي المسلم: عليك بالمبادرة إلى الخيرات والاسراع في عمل الصالحات ولا تفوت هذه الأيام والليال الغالية فإن الوقت كالسيف... وتأمل في حال من صلى وصام العام الماضي واليوم هو رهين القبر. فاسرع إلى طاعة ربك وتذلل بين يديه واسأله العافية في الدنيا والآخرة.

قال ابن الجوزي:

(كم يُضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل! وهذه الأيام مثل المزرعة، فكأنه قيل للإنسان: كلما بذرت حبَّة أخرجنا لك ألف كُرّ (مكيال ضخم) فهل

يجوز للعاقل أن يتوقف في البّذر ويتواني؟!).

أخي المسلم: نداء من الرب عز وجل يحتاج إلى حسن استجابه ومداومة على الخير.

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]:

قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ : سارعوا بالأعمال الصالحة ﴿ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ قال: لذنوبكم.

أخي المسلم:

كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من ردِّه، وهؤلاء هم الذين ﴿ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. رُوي عن علي رضي الله عنه، قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

عن الحسن قال: إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلَّف آخرون فخابوا. فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون).

جعلنا الله وإياكم من المقبولين في هذا الشهر العظيم وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤كتيبات + ٤كتيبات جيب + ٤مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة